

التبيان في تفسير القرآن

(100) الكثرة لكتابة كلمات الله لنفد ماء البحر ولم تنفذ كلمات الله بالحكم، والبحر مستقر الماء الكثير الواسع الذي لا يرى جانباه من وسطه وجمعه أبحر وبحار وبحور، والمداد هو الجائي شيئاً بعد شيء على اتصال، والمداد الذي يكتب به، والمدد المصدر، وهو مجيء شيء بعد شيء، وقال مجاهد: هو مداد العلم، والكلمة الواحدة من الكلام، ولذلك يقال للقسيمة: كلمة، لأنها قطعة واحدة من الكلام، والصفة المفردة: كلمة، و (مددا) نصب على التمييز، وهذا مبالغة لوصف ما يقدر الله تعالى عليه من الكلام والحكم. ثم قال قل لهم " إنما أنا بشر مثلكم " لست بملك، آكل واشرب " يوحى إلي إنما الحكم إله واحد " أي يوحى إلي بأن معبودكم الذي يحق له العبادة واحد " فمن كان " منكم " يرجو لقاء ربه " لقاء ثوابه أو عقابه ويرجو معناه يأمل، وقيل معناه يخاف " فليعمل عملاً صالحاً " أي طاعة يتقرب بها إليه " ولا يشرك بعبادة " الله أحداً غيره: من ملك ولا بشر ولا حجر، ولا مدر ولا شجر، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقال سعيد بن جبير معنى " لا يشرك بعبادة ربه أحداً " أي لا يراني بعبادة الله غيره. وقال الحسن: لا يعبد معه غيره. وقيل إن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن، وقال ابن جريج قال حي بن اخطب: تزعم يا محمد إنما لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وتقول ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، فكيف يجتمعان، فنزل قوله تعالى " قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي " ونزل " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام... " (1) الآية.

_____ (1) سورة 31 (القمان) آية 27 (*)